الحلال من الحرام » فلا تشريع لديهم ولا قانون اللهم إلا قانون المحافظة على النوع واستمرار الحياة . ولأنهم يجهلون القراءة والكتابة افتقروا إلى أداة المعرفة وتواصل الثقافة بين الأجيال وهى اللغة . ولا يعرفون شيئاً من الأمور المسهِّلة للمعاش « يقصد الحرف والصناعات » .

ثم ذكر الطهطاوى مرتبة ثانية من مراتب البشر وهى أرقى من السابقة لأن أهلها يعرفون الحلال والحرام ، والقراءة والكتابة ، وغيرها من المعارف وأمور الدين وبعض العلوم . غير أنهم لم تكمل عندهم درجة الترقى فى أمور المعاش والعمران والصنايع والعلوم العقلية والنقلية ، وإن عرفوا البناء والفلاحة وتربية البهائم ونحو ذلك . وقد أخرج الطهطاوى مصر وبعض البلاد الإسلاميةمن هذه المرتبة كذلك لأنها تعرف الكثير مما يجهله هؤلاء ولهم وسائلهم في التحضر والرقى والتمدن .

فالطهطاوى ، حينما صنَّف البشرَ إلى مراتب ، كان يعى أن ما نحن فيه من ضعف وتخلف ليس أصيلاً لا نعرف غيره ، وإنما هو عارض طارىء يمكن الخروج منه إذا أخذنا بأسباب الترقى والنهضة ، لأننا ننتمى إلى المرتبة الثالثة من البشر . . مرتبة أهل الأدب والظرافة والتحضر والتمدن والتمصر .

لقد أدرك الطهطاوى طُلبته من الغرب ، فهو لا يريد كل ما